

93

قصص الأنبياء

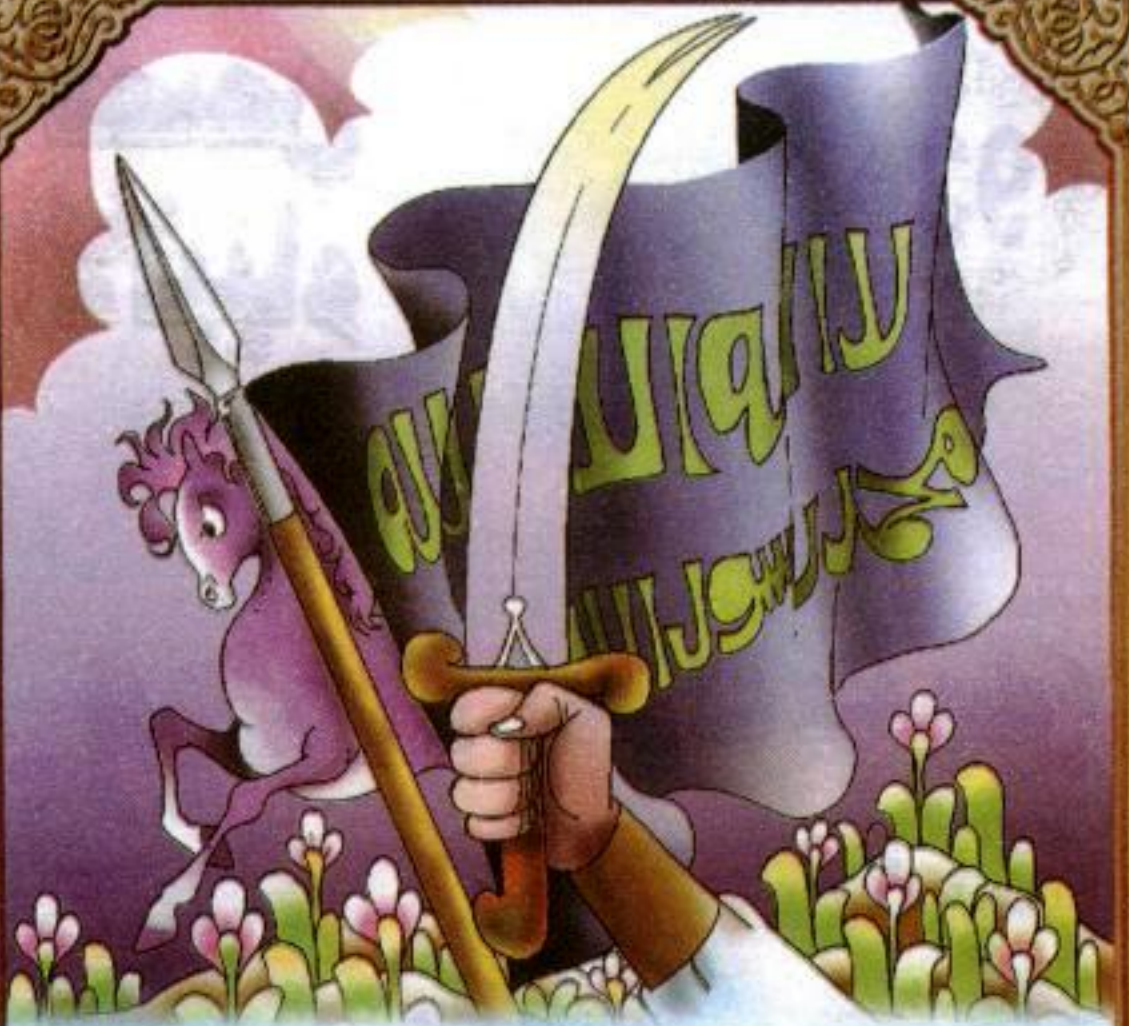
محمّد

(صلى الله عليه وسلم) (37)

يوم حنين

بقلم: أ. عبد الرحيم عبد القادر
رسوم: أ. عبد الشافي سيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى





أَتَمَّ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فَتَحَ (مَكَّةَ)
 وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ..
 وَسَمِعَتْ قَبِيلَةُ (هَوَازِنَ) وَمَنْ حَالَفَهَا مِنَ الْقَبَائِلِ
 بِالنُّصْرِ الْمُؤَزَّرِ ، الَّذِي أَحْرَزَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى
 أَهْلِ (مَكَّةَ) فَقَرَّرُوا أَنْ يَجْمَعُوا جَمُوعَهُمْ ، وَيَذْهَبُوا
 لِمُحَارَبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ ..

فَجَمَعَ زَعِيمُهُمْ (عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ) الْمُحَارِبِينَ
وَخَرَجَ بِهِمْ ، وَمَعَهُمُ النِّسَاءُ وَالْأَبْنَاءُ وَالْأَمْوَالُ مِنْ
الْإِبِلِ وَالْخِيُولِ وَالْمَاشِيَةِ وَالْأَغْنَامِ ، حَتَّى يَحْمُسَهُمْ
عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ..

وَسَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَرْسَلَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أَبِي حَذْرَدٍ) ، وَقَالَ لَهُ :

- « اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ ، حَتَّى تَعْلَمَ لَنَا مِنْ
عِلْمِهِمْ » ..

فَذَهَبَ (عَبْدُ اللَّهِ) يَسْتَطْلِعُ أَخْبَارَ (هُوَازِنَ) وَمَنْ
مَعَهَا مِنَ الْقَبَائِلِ ، وَتَنَكَّرَ حَتَّى دَخَلَ بَيْنَهُمْ وَبَقِيَ
هُنَاكَ يَوْمَيْنِ ، حَتَّى عِلِمَ أَخْبَارَهُمْ ، وَعَادَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ أَعَدُّوا الْعُدَّةَ لِحَرْبِهِ ..

وَأَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ وَالْجَيْشَ الَّذِي دَخَلَ
مَعَهُ (مَكَّةَ) وَتَعَدَّادُهُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ ،

بالإضافة إلى ألفين من أهل (مكة) فكان
تعداد الجيش الذي خرج لغزو (هوازن) اثني عشر
ألف مقاتل .. وقال أحد الصحابة معجبا بكثرة
الجيش :

- لن نغلب اليوم من قلة ..

وفي اليوم العاشر من شهر شوال من السنة الثامنة
من الهجرة تحرك جيش رسول الله ﷺ مغادرا
(مكة) في طريقه للقاء (هوازن) عند وادي
(حنين) وعلم رسول الله ﷺ أن (هوازن) قد
خرجت بأموالها ، فتبسم وقال :

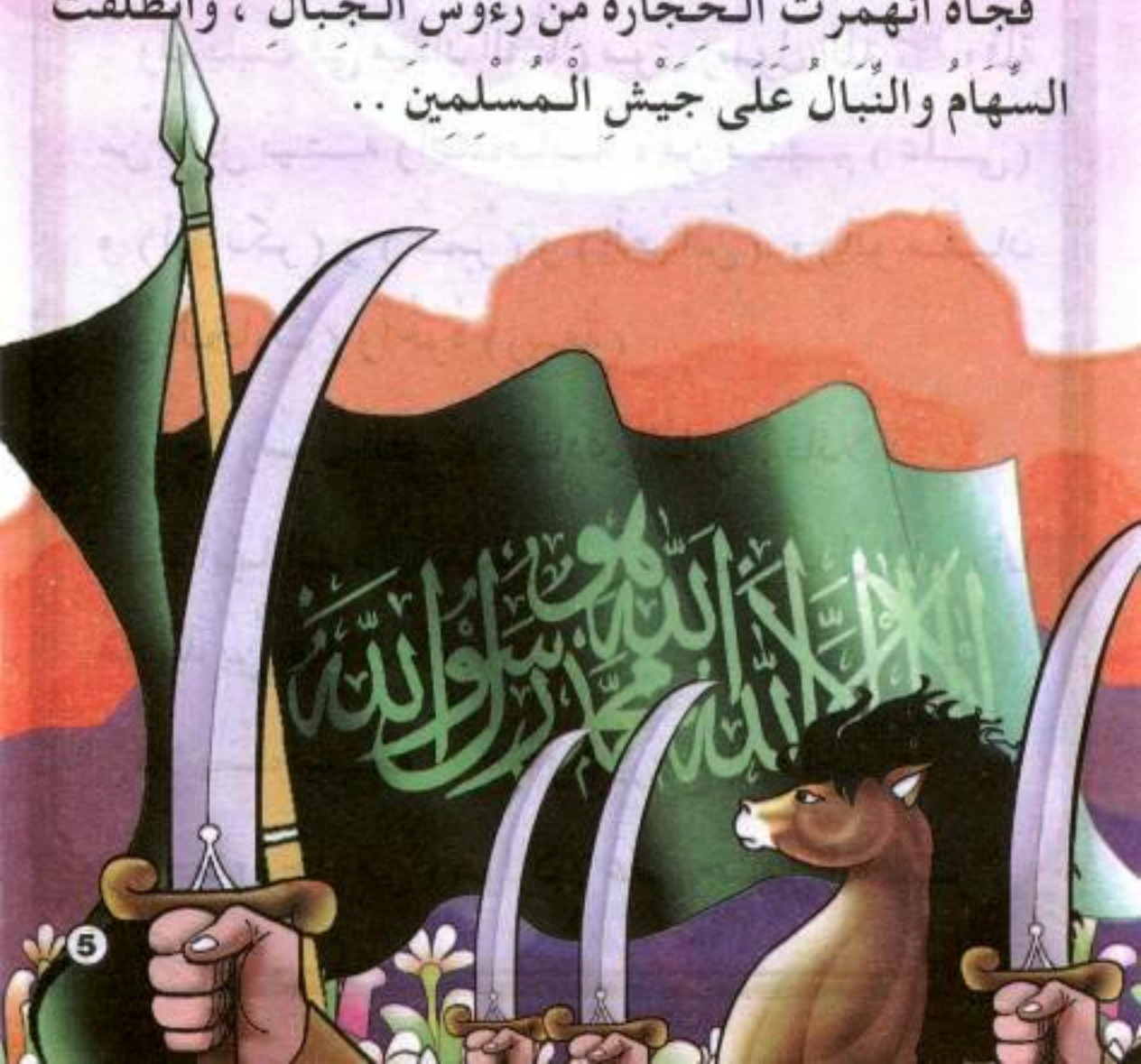
- « تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله » ..

ومع آخر الليل ، والظلام مازال مخيما ، وصل
جيش المسلمين إلى واد من أودية (حنين)
ونزلوا ليعسكروا فيه ، حتى يرتبوا صفوفهم ،
ويستعدوا للقاء عدوهم في وضح النهار ..

نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْوَادِي وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ
(هَوَازِنَ) قَدْ سَبَقَتْهُمْ إِلَيْهِ ، وَاخْتَبَأَتْ بَيْنَ طُرُقِهِ وَمَخَابِئِهِ
وَفَوْقَ رُءُوسِ الْجِبَالِ وَفِي مَضَاقِ الطُّرُقِ وَصَنَعُوا كَمَا نِ
لَهُمْ ..

وَفَجَاءَ حَدَثَ كُلُّ شَيْءٍ ..

فَجَاءَ انْهَمَرَتِ الْحِجَارَةُ مِنْ رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَانْطَلَقَتْ
السَّهَامُ وَالنِّبَالُ عَلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ ..



وَانْطَلَقَ مُقَاتِلُو (هُوَازِن) يُهَاجِمُونَ جَيْشَ
الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذُوا اسْتِعْدَادَهُمْ لِذَلِكَ ..

وَحَدَّثَتْ حَالَةَ مِنَ الْفَوْضَى وَالْهَرَجِ دَاخِلِ جَيْشِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَفَرُّوا رَاجِعِينَ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا ،
وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا حَدَثَ ..

وَلَمْ يَثْبُتْ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ سِوَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَلَّةٍ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، مِنْ بَيْنِهِمْ (عَلِيٌّ)
و (أَبُو بَكْرٍ) و (عُمَرُ) و (الْعَبَّاسُ) و (أَبُو سَفْيَانَ
ابْنُ الْحَارِثِ) وَأَخُوهُ (رَبِيعَةُ) ..

وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي النَّاسَ ، قَائِلًا :

- « أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إِلَيَّ .. أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ..

فَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُ أَحَدٌ ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ..

وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ (هُوَازِن) عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ

رَافِعًا رَايَةَ سَوْدَاءَ ، وَبِيَدِهِ رُمْحٌ ، وَأَخَذَ يَطْعُنُ
الْمُسْلِمِينَ ، وَخَلْفَهُ الْمُقَاتِلُونَ ..

وَلَمَّا رَأَى (أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ) هَزِيمَةَ
الْمُسْلِمِينَ أَظْهَرَ الشَّمَاتَةَ وَالْحَقْدَ هُوَ وَبَعْضُ رِجَالٍ
مِنْ أَهْلِ (مَكَّةَ) ، وَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) :

- « لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبُحُورِ » ..

وَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ (قُرَيْشٍ) عَلَى (صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ) ،
فَقَالَ لَهُ :

- أَبَشِرْ بِهَزِيمَةِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ..

فَقَالَ لَهُ (صَفْوَانُ) غَاضِبًا :

- أَتَبَشِّرُنِي بِانْتِصَارِ الْأَعْرَابِ ؟ ! وَاللَّهِ لَأَنْ يَكُونَ
عَلَى مَلِكٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَلِكٍ مِنَ الْأَعْرَابِ ..
وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ مُنَاجِيًا رَبَّهُ ،

قَائِلًا :

- « اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ

لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا » ..

وَأَخَذَ يُنَادِي أَصْحَابَهُ ، قَائِلًا :

- « يَا أَصْحَابَ الْبَيْعَةِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، يَا أَنْصَارَ اللَّهِ

وَأَنْصَارَ رَسُولِهِ .. يَا بَنِي الْخَزْرَجِ » ..

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّهُ (الْعَبَّاسُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ

يُنَادِيَهُمْ بِذَلِكَ ..

وَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفَنَةً مِنَ الْحَصَى ، فَأَلْقَى

بِهَا فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ ، قَائِلًا :

- « شَاهَتِ الْوُجُوهُ .. شَاهَتِ الْوُجُوهُ » ..

وَصَرَخَ (الْعَبَّاسُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّاسِ :

- يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، يَا أَصْحَابَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، تَعَالَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ..

فَأَجَابَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

- لَبَّيْكَ .. لَبَّيْكَ ..

وَأَخَذَ الصَّحَابَةُ يَتَجَمَّعُونَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَأَخَذُوا يُحَارِبُونَ (هُوَ أَزَن) بِشَجَاعَةٍ وَإِقْدَامٍ .. وَأَخَذَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِسُ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ ، وَسَرَّعَانَ
مَا تَجَمَّعَتْ صُفُوفُ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِغَلَّتِهِ مُتَقَدِّمًا الصُّفُوفِ ، وَهُوَ يَحْضُ أَصْحَابَهُ عَلَى
الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَقُولُ :

- «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ .. أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ..
وَتَقَدَّمَتْ صُفُوفُ الْمُسْلِمِينَ تَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ وَتَحْصُدُ
رُءُوسَهُمْ ، وَهَزَمَ اللَّهُ - تَعَالَى - (هُوَازَنَ) وَمَنْ حَالَفَهَا
شَرَّ هَزِيمَةٍ ..

فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوا ، وَأَسَرُوا مَنْ
أَسَرُوا ، وَفَرَ الْبَاقُونَ مِنْهُمْ ، فَطَارَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ..
وَوَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَ (هُوَازَنَ) وَأَحْلَافَهَا
وَالْكَثِيرَ مِنَ السَّبَايَا وَالْأَسْرَى ..

وَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ (خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ) قَتَلَ
امْرَأَةً مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي أَثْنَاءِ مُطَارَدَةِ فُلُولِهِمُ الْهَارِبَةِ
وَتَعَقَّبَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَقَالَ لِأَحَدِ أَصْحَابِهِ :

- «أَدْرَكَ خَالِدًا ، فَقُلْ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَنْهَاكَ أَنْ تَقْتُلَ وَلِيدًا أَوْ امْرَأَةً» ..

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يَأْتُوهُ بِرَجُلٍ مِنْ
حُلَفَاءِ (هُوَازَنَ) يُدْعَى (بِجَادَ) كَانَ شَدِيدَ

الْعَدَاوَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا انْهَزَمَتْ
(هَوَازِنُ) وَمَنْ حَالَفَهَا أَسَرَ الْمُسْلِمُونَ (بَجَادًا)
وَأَهْلَهُ وَسَاقَوْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُمُ
(الشَّيْمَاءُ) أُخْتُ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الرُّضَاعَةِ ،
وَعَامَلُوهُمْ مُعَامَلَةً قَاسِيَةً ، فَقَالَتْ لَهُمْ (الشَّيْمَاءُ) :

- أَنَا أُخْتُ نَبِيِّكُمْ مِنَ الرُّضَاعَةِ ..

فَلَمْ يُصَدِّقُوهَا وَسَاقَوْهَا مَعَ الْأَسْرَى إِلَى الرَّسُولِ ﷺ ،
فَلَمَّا وَقَفَتْ أَمَامَهُ ، قَالَتْ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أُخْتُكَ مِنَ الرُّضَاعَةِ ..

فَقَالَ ﷺ :

- « وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ ؟ » .

فَقَالَتْ (الشَّيْمَاءُ) :

- عَظْمَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ عَضَضْتُهَا وَأَنْتَ

صَغِيرٌ فِي ظَهْرِي ..

فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَلَامَةَ ،
وَبَسَطَ رِدَاءَهُ لـ (الشَّيْمَاءِ) فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ ،
وَحَيْرَهَا ﷺ بَيْنَ أَنْ تَبْقَى مَعَهُ وَتَعِيشَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ
مُعَزَّةً مُكْرَمَةً ، وَبَيْنَ أَنْ يُعْطِيَهَا الْهَدَايَا وَتَعُودَ إِلَى
أَهْلِهَا ، فَاخْتَارَتْ أَنْ تَعُودَ إِلَى أَهْلِهَا .. فَأَكْرَمَهَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْهَدَايَا وَرَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا
مُعَزَّةً مُكْرَمَةً ..

وَلَمَّا جَمَعَ الْمُسْلِمُونَ السَّبَايَا وَالْأَسْرَى وَالْأَمْوَالَ
الَّتِي غَنِمُوهَا مِنْ (هُوَازِنَ) يَوْمَ (حُنَيْنٍ) كَانَتْ كَثِيرَةً
جَدًّا ، فَكَانَ مَعَهُمْ مِنَ السَّبَايَا سِتَّةُ آلَافِ امْرَأَةٍ وَطِفْلٍ ،
وَمِنْ الْإِبِلِ وَالْجِيَادِ وَالْغَنَمِ مَا لَا يُحْصَى عَدَدًا ، وَهُوَ
أَكْبَرُ عَدَدٍ مِنَ الْغَنَائِمِ فِي مَعْرَكَةٍ وَاحِدَةٍ .. وَأَمَرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنْ تُسَاقَ السَّبَايَا وَالْغَنَائِمُ إِلَى وَادٍ
مُتَّسِعٍ يُسَمَّى (الْجُعْرَانَةَ) حَتَّى يُقَسِّمَهَا عَلَى
الْمُسْلِمِينَ ..

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَقْسِيمِ الْغَنَائِمِ
وَالسَّبَايَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، جَاءَهُ وَفْدٌ مِنْ (هُوَازِن) وَقَدْ
أَعْلَنَتْ (هُوَازِنُ) إِسْلَامَهَا ، وَدَخَلَ أَهْلُهَا فِي دِينِ اللَّهِ
أَفْوَاجًا ، فَقَالُوا :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ وَأَنْتَ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ وَعَشِيرَةٍ
وَاحِدَةٍ ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ ،
فَإَمْنُنْ عَلَيْنَا مِنْ اللَّهِ عَلَيْكَ ..



وَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْوَفْدِ ، فَقَالَ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فِي الْأَسْرَى عَمَّاتِكَ وَخَالَاتِكَ
وَحَوَاضِنِكَ اللَّائِي أَرْضَعْنَكَ وَرَعَيْنَكَ صَغِيرًا ، وَقَدْ
جِئْنَا نَرْجُو عَطْفَكَ وَكَرَمَكَ ، وَنَسْأَلُكَ إِطْلَاقَ
سَرَاحِهِنَّ ..

وَقَدْ كَانَتِ السَّيِّدَةُ (حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ) مُرْضِعَةً
الرَّسُولَ ﷺ مِنْ (بَنِي سَعْدٍ) وَهُمْ مِنْ (هُوَازِنٍ) ..
فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ ، قَالَ لِلْوَفْدِ :
- « أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ » ..
فَقَالُوا :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَيْرَتَنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا ،
وَنَحْنُ نَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَرُدَّ إِلَيْنَا أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا فَهُمْ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ ،
وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا :

إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي
 أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا ، فَسَأَعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ ..
 فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ ، قَامَ وَفَدُ
 (هُوَ أَزَن) يَسْتَشْفِعُونَ بِهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرُدُّوْا
 عَلَيْهِمْ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
 - « أُمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ » ..
 فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ :
 - وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..
 وَقَالَ الْأَنْصَارُ :
 - وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..
 وَرَفَضَتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ أَنْ تَرُدَّ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ
 السَّبَايَا عَلَى (هُوَ أَزَن) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
 - « أُمَّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبْيِ ، فَلَهُ
 بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضٍ مِنْ أَوَّلِ سَبْيٍ أَصَابَهُ » ..
 فَرَدَّ النَّاسُ مَا مَعَهُمْ مِنَ السَّبَايَا إِلَى (هُوَ أَزَن) بِبَرَكَه
 شَفَاعَتِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..

وَأَسْلَمَ (مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ) وَهُوَ الَّذِي حَرَضَ
 (هُوَ أَرَزَنَ) وَقَادَهَا إِلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَاهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ..
 وَكَانَتْ هَزِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي بَدَايَةِ غَزْوَةِ (حَنِينٍ)
 دَرْسًا لَهُمْ حَتَّى لَا يَغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ
 النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، فَهُوَ وَحْدَهُ يَنْصُرُ مَنْ
 يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، كَمَا كَانَتْ
 هَزِيمَتُهُمْ يَوْمَ (أُحُدٍ) دَرْسًا لَهُمْ ، حَتَّى لَا يُخَالِفُوا
 أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..

(تَمَّتْ)

● الفصل الأنبياء ● الكتاب التالي ●

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٢٨) غزوة تبوك

رقم الإيداع : ٢٠٠٤ / ٣٣٧٦

الترقيم الدولي : x - ٤٢ - ٣٧٨ - ٩٧٧

● احرص على اقتنائه ●